الجدار

واقفا يشربني الليل ويرميني الدوار
نجمة ...
أغنية من دون ومض
آتيامن زمن الجوع ومن صمت البحار
زورقايطلع من صمت الاساطير ويمضي
انني انفض عن روحي الغبار
كي اشمّ النكهة الاولى لارضي .

كذب كل ابتهالاتي وحبي
كذب ما ينبت الوهم من الدفلى بقلبي
كذب ما من فرار
كلماتي لا تطيق القفز من هذا الجدار

كذب ما وشوشته الريح
ما كانت تقول :
« انّ ضيفا باركته الريح
ضمته الى صدر الحقول
سوف يأتي » . آه لم يأت
ولم يأت الذي كانت تقول :
« هو ذا الميت قد عاد فتيا
اشقر الشعر يضيء الليل مسراه
وتخضرّ الكروم
خطوه أرجوحة الفجر
وعيناه نجوم
مسحة الشحاذ القاها
ولم يلبس سوى الوعد الذي يومىء،
ان صار نبيا » .

وانا يساقط الرمل على رأسي
وهذا الليل يغفو في عيوني
لم تفارق شفتي كأس الحنين
انني لم امتلك ، بعد ، عصا الساحر
لم المح سنا البرق الذي يلمع في
طور سنين
لم يحل الربّ عقدات لساني
غير اني لم ازل ابسط كفي بالسؤال
انتحي الظلّ والتمّ على نفسي
واطوي العمر في ذل السؤال
واغني ـ ثاقبا صمت الليال :
ربما يورق في رأسي حلم
ربما يسقط نجم
ربما ...
ربما ...

ضياء خضير

العراق ـ قلعة سكر

ـ « تحتاج الايديولوجيا الانقلابية الى فعالية الجماهير . وفعالية الجماهير ممكنة لانها .. جاهلة ومحدودة الفكر ..والمذاهب تنتشر وتنتقل عن طريق الايحاء والعدوى والترديد والتلقين ،لا عن طريق الفكر والعقل . كان سقراط يقول انه قد يكون الحدادون والنجارون والسكافون مهرة في حرفهم ، ولكن اكثريتهم ذات نفوس ساكنة ، فهم لا يعرفون ما هو الجمال او الخير او العدالة » (٣٤) .

وبديهي اننا لا ننكر ان للجماهير غريزتها الصادقة وحكمتها المباشرة . ولكن هذا شيء ، وتجريد الجماهير من ملكة التفكير واعتبارها قوة غريزية محضة شيء اخر .

وبمجرد ان نعتبر الجماهير قوة غريزية خالصة ولا واعية ،فاننا نكون قد انسقنا ، شئنا ام أبينا ، الى اعتبار الايديولوجيا عقيدة ايمانية ،ديماغوجية ، لا نقدية ولا علمية ولا تاريخية ، مقياس قوتها الولاء الصوفي المتعصب الاهوج، لا حقيقيتها وصحتها .

وليس هذا فحسب ، بل لا مناص ايضا في هذه الحال ، وحتى تكتمل قوة الايديولوجيا كعقيدة ايمانية، من أن تتشخص هذه الايديولوجيا في شخص زعيم ، على النحو الذي تجسدت فيه النازية في عبادة شخصية هتلر والستالينية في عبادة شخصية ستالين . وليس من قبيل الصدفة ان ينبري الدكتور البيطار للدفاع عن عبادة شخصية الزعيم وتبريرها تاريخيا . فعبادة الشخصية هي التتويج الحتمي لازدراء الجماهير ومبادرة الجماهير . وهو اذ يقول بان مكانة الزعماء قد تفوق أحيانا « مكانة اقدس الانبياء والرسل وتضاهي مكانة الالهة نفسها في انفس الاتباع » (٣٥) ، فانه لا يقول ذلك مستنكرا ، بل مصدقا مؤيدا لان كل حركة انقلابية تحتاج في رايه حتى تكون فعالة الى « فوزد (لقب ستالين) ،الى دوتشي، الى فوهرر ، الى رسول » (٣٦) ولان « الجماهير تعبد الشيطان ان لم تجد آلهة تعبده » !(٣٧) .

ترى ـ ولتكن هذه مؤقتا كلمة الختام ـ الا بمثل تصور المثقفين هذا عن الجماهير ادانة لا للجماهير وانما للمثقفين انفسهم كمساهمين كبار في شركة النبوة الكاذبة وتروست صناعة الاساطير وتجارتها ؟ ولكن الم نتعلم على مقاعد الدراسة ان الثقافة هي نتاج نضال الانسانية ضد السحر والاساطير والنبوات الكاذبة ؟ واذا كان الامر كذلك ،افليس من حقنا ان نتوقع وان نطالب بلا تاخير بان تاخذ « عملقات » هذا النمط من مثقفينا طريقها الى غربال التاريخ ومتحفه ؟

جورج طرابيشي

حلب

(٣٤) : المصدر نفسه ـ ص ٣٥٩ . وبالمناسبة ، واذا كانت الجماهير لا تعرف الجمال ، فهل يستطيع سقراط او الدكتور البيطار ان يقولا لنا لماذا يهتم بائع الفول البسيط في بلادنا بتزيين دكانه باوعية زجاجية مليئة بمياه ملونة : زرقاء وحمراء وخضراء ، مع انه ليس لها اي فائدة مباشرة غير متعة العين ؟ ولماذا يهتم بائع اللوز الاخضر بصف حباته على نحو هندسي رائع ومزدان بالازاهير من شتى الالوان ؟

(٣٥) : المصدر نفسه ـ ص ٣٦٥ .
(٣٦) : المصدر نفسه ـ ص ٣٦٢ .
(٣٧) : المصدر نفسه ـ ص ٣٧٦ .